

مجلــــــــــة

آداب الرافدين

علميّـــــة محكّمـــــة

فصليـّــــة

تصـــدر عن كليـــة الآداب

العـــدد: التاسع والسبعون

السنـــة: التاسعة والأَربعون

الموصـــــــــل

١٤٤١هـــ / ٢٠١٩م

توجه المراسلات باسم رئيس هيئة التحرير

كلية الآداب / جامعة الموصل – جمهورية العراق

E-mail: adabarafidayn@gmail.com

الرمز الدولي : ISSN 0378- 2867

E ISSN 2664-2506

P ISSN 1813-0526

رقم إيداع المجلة في المكتبة الوطنية ببغداد : ١٤ لسنة ١٩٩٢

للتواصل: radab.mosuljournals.com



آداب الرافدين

مجلة محكّمة تعنى بنشر البحوث العلمية الموثّقة في الآداب والعلوم الإنسانية

باللغة العربية واللغات الأجنبيَّة

العدد: التاسع والسبعون — السنة: التاسعة والأربعون

(تشرين الأوّل/ تشرين الثاني/ كانون الأوّل لسنة ٢٠١٩)

قواعد النشر في المجلة

- يقدم البحث مطبوعاً بدقة، ويكتب عنوانه واسم كاتبه مقروناً بلقبه العلمي للانتفاع باللقب في الترتيب الداخلي لعدد النشر.
- تكون الطباعة القياسية بحسب المنظومة الآتية: (العنوان: بحرف ١٦/ المتن: بحرف ١٤/ الهوامش: بحرف ١٢)، ويكون عدد السطور في الصفحة الواحدة: (٢٧) سطراً تحت سطر ترويس الصفحة بالعنوان واسم الكاتب واسم المجلة، ورقم العدد وسنة النشر، وحين يزيد عدد الصفحات في الطبعة الأخيرة داخل المجلة على (٢٥) صفحة للبحوث الخالية من المصورات والخرائط والجداول وأعمال الترجمة، وتحقيق النصوص، و (٣٠) صفحة للبحوث المتضمنة للأشياء المشار إليها، تتقاضي هيئة التحرير مبلغ (٢٠٠٠) دينار عن كل صفحة زائدة فوق العددين المذكورين، فضلاً عن الرسوم المدفوعة عند تسليم البحث للنشر والحصول على ورقة القبول؛ لتغطية نفقات الخبرات العلمية والتحكيم والطباعة والإصدار .
- ترتب الهوامش أرقاماً لكل صفحة، ويعرّف بالمصدر والمرجع في مسرد الهوامش لدى وورد ذكره أول مرة، ويلغى ثبت (المصادر والمراجع) اكتفاءً بالتعريف في موضع الذكر الأول .
- يقدم الباحث تعهداً عند تقديم البحث يتضمن الإقرار بأنَّ البحث ليس مأخوذاً (كلاً أو بعضاً) بطريقة غير أصولية وغير موثقة من الرسائل والأطاريح الجامعية والدوريات، أو من المنشور المشاع على الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت).
- يحال البحث إلى خبيرين يرشحانه للنشر بعد تدقيق رصانته العلمية، وتأكيد سلامته من النقل غير المشروع، ويحال – إن اختلف الخبيران – إلى (محكم) للفحص الأخير وترجيح جهة القبول أو الرد .
- لا ترد البحوث إلى أصحابها نشرت أو لم تنشر .
- يتعين على الباحث إعادة البحث مصححاً على هدي آراء الخبراء في مدة أقصاها (شهر واحد)، ويسقط حقه بأسبقية النشر بعد ذلك نتيجة للتأخير، ويكون تقديم البحث بصورته الأخيرة في نسخة ورقية وقرص مكتنز (CD) مصححاً تصحيحاً لغوياً وطباعياً متقناً، وتقع على الباحث مسؤولية ما يكون في بحثه من الأخطاء خلاف ذلك، وستخضع هيئة التحرير نسخ البحوث في كل عدد لقراءة لغوية شاملة أخرى، يقوم بها خبراء لغويون مختصون زيادة في الحيطة والحذر من الأغاليط والتصحيفات والتحريفات، مع تدقيق الملخصين المقدمين من جهة الباحث باللغة العربية أو بإحدى اللغات الأجنبية، وترجمة ما يلزم الترجمة من ذلك عند الضرورة .

((هيئة التحرير))

المحتويـــــــــات

رحلة حج السلطان موسى بن أبي بكر التكروري ٧٢٤هـ/١٣٢٤م دراسة في مضامينها

أ.م.د. بشار أَكرم جميل *

تأريخ التقديم: ٢٠١٩/٥/٢٦ تأريخ القبول: ٢٠١٩/٦/١٠

المقدمة :

من البديهي ان يؤدي المسلم فريضة الحج كونها ركن من اركان الإسلام التي أكد عليها القرآن الكريم وقرنها بالاستطاعة المادية والمعنوية ، ورحلات الحج تلك كانت تخرج من جميع بقاع الأرض متوجهة نحو مكة المكرمة ، وحفلت كتب التاريخ والجغرافية والرحلات وكتب الادب والروايات بالكثير عن رحلات الحج التي وصفت بما ينسجم وتخصص تلك الكتب ، كما تطرقت كل تلك الكتب لرحلات حج حكام وسلاطين بلدان الإسلام بشيء من التفصيل ، وربما يكون التركيز على رحلات حج الحكام والملوك في بعض الأحيان نابع من محاولة المؤرخ التقرب من ذلك الملك عبر وصف موكبه بالإيجابية حتى وإن لم يكن كذلك .

وكما في المشرق والمغرب الإسلامي فقد خرجت رحلات حج متعددة من بلاد السودان ولاسيما على عهد دولة مالي الإسلامية (٦٣٦-٨٨٦هـ/١٢٣٨-١٤٨٨م) والتي خرج سلاطينها الواحد تلو الأخر ، وكان لبعضهم اكثر من رحلة حج بدءاً من رحلة حج السلطان برمندانة[١] وصولاً إلى أشهر رحلة حج ليس على مستوى دولة مالي وإنما في العالم الإسلامي بأكمله ، وهي رحلة حج منسا[٢] موسى بن أبي بكر التكروري والتي وصلت سيرتها كل بقاع

---

* قسم التاريخ/ كلية الآداب/ جامعة الموصل .

(١) برمندانة : ويسمى ايضاً برمندان وهو أول من اسلم من ملوك دولة مالي ، وربما يعود سبب تسميته بهذا الاسم إلى القبيلة التي ينتمي إليها والتي تُعد المؤسسة للدولة وهي قبيلة الماندنجو . ينظر : محمد عوض محمد ، الشعوب والسلالات الافريقية ، (القاهرة : ١٩٦٥) ، ص٥٤ .

(٢) منسا : وهو لقب من الألقاب التي اتخذها سلاطين السودان الغربي وتعني الحاكم عند الماندنجو ، وفي البداية كان لقب رئيس القرية ثم توسع . ينظر : دريد عبد القادر نوري ، تاريخ الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء من القرن ٥-١٠هـ/١١-١٦م ، (جامعة الموصل:١٩٨٥) ، ص٢٩٩ .

الأرض آنذاك ، فسمع بها نصارى روما ومسلمي الاندلس والمرينيين في المغرب والمماليك في مصر وأهل مكة والمدينة وبلاد الشام .

وتكمن أهمية هكذا موضوع في كونه يوضح للقارئ مكانة الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء أو كما سميت من قبل المؤرخين والجغرافيين المسلمين ببلاد السودان ، فضلاً عن ايضاح مدى تأثير الحضارة الإسلامية في مصر على بلاد السودان ، أما أهم الأهداف التي ينوي البحث تحقيقها فتتمثل في التعريف بشخصية مسلمة حكمت بلد من اغنى بقاع الأرض في تلك الفترة المتمثلة في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي ، كما ينوي البحث جمع النتائج الايجابية لتلك الرحلة وتوضيح مضمون تلك النتائج سواء كانت سياسية ام اجتماعية ام اقتصادية وغيرها من المضامين ، أما المنهج الذي سيتبعه البحث فهو المنهج التاريخي التحليلي القائم على عرض المادة التاريخية وتحليلها .

وفيما يتعلق بالدراسات التاريخية السابقة والتي تناولت الموضوع ، فيأتي في مقدمتها رسالة الماجستير الموسومة " رحلات الحج وآثارها على السودان الغربي في عصر دولتي مالي والسنغاي للباحثة امل بنت صالح الشمراني والتي تناولت فيها رحلات الحج عموماً ، كما تناول بحث منشور في مجلة للباحث الدكتور ابراهيم علي يوسف الشامي موضوع رحلات الحج ببحثه الموسوم " طرق الحج بالصحراء الكبرى عصر دولتي مالي وسنغاي (٦٣٦-١٠٠٠هـ/١٢٣٨-١٥٩١م) ، فضلاً عن عدد من المقالات التي تحدثت عن رحلات الحج بشكل عام دون التركيز على رحلة ما، وهذا الأمر سيحاول البحث معالجته عبر التركيز على رحلة حج منسا موسى والخوض في تفاصيلها ولاسيما ماقيل حول اسبابها ومضامينها .

الرحلة ومضامينها :

إن اول واهم مضمون لرحلة الحج تلك يتمثل في التعريف بصاحب الرحلة والبلد الذي قدم منه ومدى اتساع حكمه ، والطرق التي اتبعها للوصول إلى الحجاز ، فحينما نتطرق لرحلة حج كبيرة قادمة من بلاد لم يكن للكثير من الشعوب المسلمة – التي مرت بها تلك الرحلة – صورة واضحة عنها وعن شعوبها وحكامها ومواردها ، ولاسيما بعد ان عُرفت تلك الرحلة في الكثير من المؤلفات بالرحلة الذهبية او رحلة الحج الذهبية بسبب كثرة الذهب التي حملتها تلك

القافلة ، نقول حينما نتطرق لها لابد أولاً من التعريف بصاحب تلك الرحلة او قائدها إذا صح التعبير والذي عُرفت الرحلة باسمه ، إذ ذكره المؤرخ الذهبي بأنه ملك التكرور موسى بن أبي بكر الأسود[١] فيما عد المؤرخ اليافعي[٢] لقب الأسود جزءاً من اسمه فقال ملك التكرور موسى بن ابي بكر بن ابي الأسود . ويبدو أن الأسود هي كناية على لون بشرة السلطان وليست جزءاً من أسمه كما تصورها اليافعي خطأً . وسبق اسم ذاك السلطان الكثير من الألقاب التي اختلفت من مؤرخ لأخر ، فقد حمل لقب شرف الدين قبل اسمه[٣] ، كما سُبق اسمه بكلمة منشا [٤] ، وأطلق عليه المؤرخ ابن كثير[٥] لقب الملك الأشرف ووصفه بالشاب الجميل ، كما وصف بأنه شاب عاقل حسن الشكل راغب في العلم ومرافقة العلماء مالكي المذهب[٦] ، ويبدو أن سبب نعته بالعاقل هو حسن تصرفه وحكمته حينما رأى اتباعه وقد شهروا السيوف بوجه الترك بعد مشاجرة حصلت بينهما في مكة ، وبعد أن تكلم معهم ونصحهم بضرورة الكف عن القتال تراجعوا [٧] .

---

(١) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، العبر في خبر من غبر ، تحقيق : أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، (بيروت: د/ت) : ٦٩/٤ .

(٢) أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن اسعد بن علي بن سليمان اليافعي ، مرأة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة مايعتبر من حوادث الزمان ، وضع حواشيه : خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، (بيروت:١٩٩٧) :٢٠٤/٤ .

(٣) عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن ابي الفوارس بن الوردي ، تاريخ أبن الوردي ، دار الكتب العلمية ، (بيروت:١٩٩٦) : ٢٦٦/٢ .

(٤) أبو الفضل احمد بن علي بن محمد بن احمد بن حجر العسقلاني ، انباء الغمر بانباء العمر ، تحقيق : د.حسن حبشي ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، (القاهرة:١٩٦٩م) :٦٩/١ ؛ العسقلاني ، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ، تحقيق : محمد عبد المعيد خان ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، (حيدر اباد:١٩٧٢م) :٣٢١/٤ .

(٥) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ، البداية والنهاية ، دار الفكر ، (د/م:١٩٨٦) :١١٢/١٤ .

(٦) الذهبي ، العبر : ٦٩/٤ ؛ صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي ، أعيان العصر وأعوان النصر ، تحقيق : علي أبو زيد وأخرون ، دار الفكر المعاصر و دار الفكر ، ط١ ، (بيروت – دمشق : ١٩٩٨م): ٤٧٧/٥ .

(٧) اليافعي ، مرأة الجنان : ٢٠٤/٤ .

ويحكم ذلك السلطان إحدى أهم دول السودان الغربي وهي مملكة مالي التي شملت مساحات شاسعة تمتد من منحنى نهر النيجر في الشرق وحتى المحيط الاطلسي غرباً ، وتقع في إطار تلك الدولة عدد من الولايات يصل عددها إلى أربعة عشر ولاية كبيرة تضم كل منها المئات من المدن ، فهي مملكة متسعة تصل سعتها لثلاث سنين[١] ، وقيل في وصف اتساعها أن " ملك السودان بصحراء المغرب في الإقليم الأول والثاني منقسماً بين أمم من السودان أولهم مما يلي البحر المحيط أمة صوصو وكانوا مستولين على غانة ودخلوا في الإسلام أيام الفتح "[٢]

ويُطلق على ركب الحاج الخارج من دولة مالي الإسلامية ركب الحاج التكروري وليس ركب الحاج المالي ، ويؤكد معنى مصطلح التكرور المؤرخ الأفريقي محمد بيلو بقوله : " وأعلم أن هذا الاسم الذي هو التكرور ، علم على الإقليم الغربي من الجنوب السوداني على ما فهمنا من تعبيرهم في التواريخ والنقول ، وهذا الاسم شائع في الحرمين ومصر والحبشة ، ولايعرفه أحد في محله حتى لا يعرفه أهل هذه البلاد أصلاً ، وإنما يتلقونه من الحجاج الذين سمعوه بالحرمين ومصر "[٣] ، وبسبب دخول سكان إقليم التكرور – الذي يُعد جزءاً من دولة مالي الإسلامية – في الإسلام بوقت مبكر وذهابهم للحج قبل الآخرين فقد سُحب اسمهم على كل سكان وحكام بلاد السودان جميعاً[٤] .

خرج منسا موسى بن أبي بكر التكروري من بلاده للحج سنة ٧٢٤هـ/١٣٢٤م متبعاً الطريق الصحراوي للوصول لمصر ومتجنباً في الوقت ذاته الطريق الساحلي الذي قُتل فيه قبل

---

(١) عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن ابي الفوارس بن الوردي ، تاريخ أبن الوردي ، دار الكتب العلمية ، (بيروت:١٩٩٦) :٢٦٦/٢ ؛ أبن كثير ، البداية : ١١٢/١٤ .

(٢) عبد الرحمن بن محمد ابو زيد ولي الدين الحضرمي بن خلدون ، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، تحقيق : خليل شحادة ، دار الفكر ، (بيروت:١٩٨٨):٤٩٥/٥ .

(٣) وحمد بن عثمان بن فودي بللو ، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور ، تحقيق : بهيجة الشاذلي ، (الرباط : ١٩٩٦) ، ص٤٧ .

(٤) بللو ، المصدر نفسه ، ص٤٨ .

٢٤ عاماً حاكم مالي (ساكورا)[١] ، فتحركت قافلة منسا موسى من العاصمة المالية نياني (Niani)[٢] ماراً بمدينة تنبكتو (Timbuktu)[٣] حتى قيل أن نهاية القافلة في تنبكتو وبدايتها في العاصمة نياني ، وبعدها تحركت بداية القافلة نحو مدينة ولاته (Walata)[٤] ثم نحو تغازا (Taghaza)[٥] وصولاً نحو مدينة توات (Tuwat)[٦] ومنها نحو مدينة غدامس

---

(١) ساكورة : هو أحد حكام دولة مالي الإسلامية لكنه لا ينتمي إلى الأُسرة الحاكمة وعده البعض مغتصباً للحكم طيلة الفترة (٦٨٤-٧٠٠هـ/١٢٨٥-١٣٠٠م) ، إلا أن عهده شهد فتوحات كبيرة أعادت للإمبراطورية هيبتها من خلال استعادته السيطرة على بلاد (كوكو) التي خرجت عن طاعة الدولة . ينظر : أبن خلدون ، ديوان المبتدأ والخبر : ٤٩٤/٥ .

(٢) نياني : عاصمة دولة مالي الإسلامية والتي أخذت الدولة اسمها منها ثم حُرف إلى مالي ، وكان سندياته قد حول العاصمة المالية من جارب في كانجابا إليها . يُنظر : عبد الرحمن زكي ، تاريخ الدول الإسلامية السودانية ، المؤسسة العربية الحديثة ، (القاهرة:١٩٦١)، ص٩٧ .

(٣) تنبكتو : مدينة في السودان الغربي تقع عند الحافة الجنوبية لمنحنى نهر النيجر ، وهي حلقة وصل بين الصحراء الكبرى والسودان الغربي ، تشير أغلب الآراء أنها تأسست في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي على يد الطوارق . ينظر : الهادي المبروك الدالي ، العلاقات بين مملكة مالي الإسلامية وأهم المراكز بالشمال الأفريقي ، مسحوب من شبكة الأنترنت موقع قبائل عرب أزواد ، ص١٦ .

(٤) ولاته: وهي مدينة من مدن السودان الواقعة على مسافة ٤٥٠كم غرب تمبكتو. ينظر: الوزان، وصف أفريقيا:١٦١/٢ . وأختلف المؤرخون في تسميتها فبعضهم يسميها(ايوالاتن). أنظر: محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي المعروف بأبن بطوطة ، تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار ، اكاديمية المملكة المغربية ، (الرباط : ١٤١٧هـ):٢٤٥/٤ ؛ شهاب الدين احمد بن محمد المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، (بيروت:١٩٩٧) :٢٠٥/٥.وأخر يسميها(ولاتن).أنظر: أبن خلدون ، ديوان المبتدأ :١١٧/٧. في حين يسميها السعدي(ولات). ينظر: تاريخ السودان، وقف على طبعه : هوداس ، (باريس: ١٩٦٤) ، ص٢١.

(٥) تغازا : وتكتب تغازة وتغازى وهي إحدى مناجم الملح في الصحراء الكبرى والتي كانت المصدر المهم لتزويد بلاد السودان بتلك المادة ، وقد شهدت تلك المنطقة أشد أنواع الصراع بين حكام المغرب الإسلامي من السعديين واسحق الثاني حاكم مملكة السنغاي في القرن العاشر الهجري . ينظر : عبد القادر زبادية ، مملكة سنغاي في عهد الاسقيين ، (الجزائر :د/ت) ، ص٥١-٥٢ .

(٦) توات : وهي إحدى مدن المغرب الإسلامي القريبة من وادي درعة ، سميت كذلك تحريفاً للكلمة الأصلية تواتي ، وكان القائد عقبة بن نافع الفهري قد مر بها خلال فتوحاته للمغرب . ينظر : ابن بطوطة ، تحفة : ٥٤٢/٢ .

(Ghdames)[١] ليسلك بعدها الطريق الصحراوي وصولا إلى إهرامات الجيزة[٢] ، ويؤكد ابن خلدون سلوك رحلة منسا موسى للطريق الصحراوي بقوله " ولما خرج منسا موسى من بلاد المغرب للحج سلك طريق الصحراء "[٣] . ويبدو من خلال الطريق الذي اتبعته القافلة تيقظ الجانب الأمني لدى السلطان وحاشيته والتي تجنبت المرور بالساحل لتتخلص من هجمات المعتدين ، كما أن زيادة عدد المسافرين وضخامة القافلة مدعاة لرسم الهيبة على تلك القافلة وتجنيبها الهجمات .

وعند مدينة ولاته انضم لركب حج منسا موسى حجاج تلك المدينة الذين اعتادوا على التحرك نحو مصر في بداية شهر ربيع الأول ، ليواصل الجميع بعدها التوجه نحو القاهرة للالتحاق بركب الحاج المصري ، وقد أكد ابن بطوطة ذلك الأمر خلال زيارته للسودان الغربي عام ٧٥٣هـ/١٣٥٢م مشيراً إلى انه حينما قرر العودة نحو المغرب وعدم إكمال سفارته في بلاد السودان بُلغ من قبل السودان ان العودة تكون مع حجاج مدينة ولاته المتجهين نحو غدامس ومن ثم القاهرة بعد ان يجتمع بهم حجاج الداخل السوداني[٤] .

ومن مضامين الرحلة أيضاً **المضمون الديني** ، إذ ان الغاية الأساسية منها هو تأدية فريضة الحج والتي سبقه إليها الكثير من حكام بلاد السودان ، تلك الرحلة التي من البديهي يقوم بها كل مسلم تنطبق عليه شروط الاستطاعة المادية والجسدية التي نص عليها القرآن الكريم ، فجاءت ملبية لذلك النداء الآلهي ، إلا أن ذلك السبب البديهي أضاف إليه المؤرخ الأفريقي محمود كعت سبب أخر يتمثل في شعور منسا موسى بالذنب بعد أن قتل أمه عن طريق الخطأ ، وعلى أثر ذلك توجه إلى فقهاء دولته ليروي لهم القصة فأشاروا عليه بالذهاب

---

(١) غدامس : هي مدينة كبيرة مسكونة بعدد كبير من السكان تقع في جنوب المغرب متداخلة مع بلاد السودان وكان عقبة بن نافع الفهري قد افتتحها سنة ٤٢هـ / ٦٦٢م . انظر : الوزان ، وصف افريقيا : ١٤٦/٢ .

(٢) محمود كعت بن الحاج المتوكل كعت الكرمني التنبكتي ، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور ، وقف على طبعه هوداس ودولافوس ، مطبعة بردين ، (أنجة :١٩١٣) ، ص٣٣ .

(٣) ديوان المبتدأ : ٩٣٢/٥ .

(٤) محمود كعت ، تاريخ الفتاش ، ص٣٧ .

إلى مكة المكرمة والتقرب من قبر الرسول ﷺ والطلب منه التشفع له ليكفر عن ذنبه ، كما اشاروا عليه أن يتحرى مصادفة يوم خروجه ليكون الثاني عشر من الشهر الهجري وأن يكون يوم سبت [١] . وعلى الرغم من أن المؤرخ صاحب النص هو أبن المنطقة وليس غريباً عنها كباقي المؤرخين والجغرافيين المشارقة والمغاربة الذين تحدثوا عن تاريخ وحضارة الإسلام في أفريقيا ، إلا ان محمود كعت انفرد في ذكر ذلك السبب ، وما يجعلنا نضعف روايته تلك هو ان الكثير من حكام بلاد السودان ذهبوا لتأدية فريضة الحج قبل منسا موسى كونها فريضة اساسية وليس لسبب دنيوي ، كما أن كل المؤرخين والجغرافيين المسلمين المعاصرين للحدث لم يذكروا تلك الرواية ، فضلاً عن أن محمود كعت الف كتابه بعد رحلة الحج تلك بحوالي ثلاثة قرون مما يجعله بعيد جداً عن احداثها.

أراد منسا موسى أن يظهر لحكام مصر المماليك التزامه الديني[٢]، إذ رفض تقبيل الأرض بين يدي السلطان المملوكي في مصر والسجود له قائلا : أن السجود لله وحده ، مما يدل على قوة الأيمان وترك العادات القديمة[٣] ، وخلال التواجد في القاهرة اطلع السلطان ومن معه من الحجيج السودان على الالتزام الديني لسكان المدن التي مروا بها [٤]، لا بل تميزوا في في بعض تصرفاتهم على من سبقهم في الإسلام من حكام وشعوب تلك المدن ، فلم يكن الحاج القادم من بلاد السودان أقل التزاماً ونظافة وحسن مظهر من إخوانه القادمين من أماكن أخرى، فكان السلطان ومن معه من الحجيج مرتدين لأفضل الملابس وأنظفها، ملتزمين

(١) كعت ، المصدر نفسه ، ص٣٣ .

(٢) أبن بطوطة، تحفة النظار:٢٦٤/٤ ؛ فوزية يونس فتاح، التأثيرات الحضارية العربية الإسلامية على السودان الغربي ، اطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة الى كلية الاداب ، (جامعة الموصل : ١٩٩٤) ، ص٨٨ .

(٣) أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري ، مسالك الإبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق وتعليق : مصطفى أبو ضيف أحمد ، ط١ ، (الرباط:١٩٨٨) ، الباب التاسع ، ص٧٢.

(٤) شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري السلاوي ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق : جعفر الناصري ومحمد الناصري ، دار الكتاب ، (الدار البيضاء : د/ت):١٥١/١-١٥٢؛ دريد عبد القادر نوري، دور الحج في ربط السودان الغربي بمصر بعد القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي ، بحث منشور في مجلة رسالة الخليج العربي ، العدد التاسع ، (الرياض :١٩٨٣) ، ص٢٥٦.

بإعطاء الصدقات وأعمال البر[١] ، وكان أولئك الحجيج يقيمون حينا بالأزهر يتلون القرآن الكريم ويطلعون على الكتب الدينية ويلتقون بالمسلمين في مصر ويحتكون بهم[٢]، ويتلقون منهم عاداتهم وتقاليدهم وشكل ملابسهم وعمرانهم[٣] ، فضلاً عن ذلك فقد اسهمت رحلة حج منسا موسى في إضافة لون جديد للألوان المحببة لدى السكان ، فبعد ان كان اللونان الأسود والأزرق مفضلان لدى المجتمع الإسلامي السوداني منذ عهد المرابطين، أُضيف إليهما اللون الأخضر بعد عودة منسا موسى من الحج ، إذ تم اتخاذه شعاراً للدولة [٤] ، كما ارتدى الحكام في بلاد السودان القلنسوة [٥] .

ومن التقاليد المنسجمة مع تعاليم الإسلام والتي نفذها منسا موسى حال وصوله إلى بلاده ، إقراره للمصافحة يداً بيد لتكون دليلاً على الأخوة في الإسلام ، فبعد أن كان الملك لا يصافح إلا القاضي ، أصبح يصافح كل من يتقدم لمصافحته من الناس[٦] ، ومن جهة أخرى فإن كلام المؤرخ العمري – حول قيام منسا موسى بقتل كل من يدخل عليه مرتدياً نعليه سواءً كان عامداً أم ساهياً [٧] – يتنافى مع أخلاق وتقاليد ذلك الملك ، فقد كان رجلاً تقياً ، ورعاً ، طيب العشرة ، سخياً [٨] . كما أن تلك الفعلة لا تحتاج إلى مثل تلك العقوبة القاسية . وان

(١) أبن خلدون ، ديوان المبتدأ :٦/٤١٥-٤١٦ ؛ العمري، مسالك الأبصار، الباب التاسع ، ص٧٠.

(٢) جون لويس بوركهارت، رحلات بوركهارت في بلاد النوبة والسودان ، ترجمة : فؤاد أندراوس ، أشرف على نشره : محمد شفيق غربال ، (القاهرة : د/ت) ، ص٤٠ .

(٣) أبن خلدون، ديوان المبتدأ:٧/٤١٦.

(٤) محمد الغربي ، بداية الحكم المغربي للسودان الغربي ، إشراف : نيقولا زيادة ، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر ، (الكويت : ١٩٨٢) ، ص٦٠٩.

(٥) كعت ، تاريخ الفتاش ، ص٤٠.

(٦) كعت ، المصدر نفسه ، ص٣٥.

(٧) العمري، مسالك الأبصار ، الباب التاسع ، ص٦٦.

(٨) أحمد الشكري ، الإسلام والمجتمع السوداني – إمبراطورية مالي ١٢٣٠-١٤٣٠م ، ط١ ، (أبو ظبي : ١٩٩٩) ، ص٢٤٩.

الكلام المعقول هو ما نقله الجزري [١] ، من أن أصحاب منسا موسى لا يدخلون عليه إلا وهم كاشفوا رؤوسهم ، وهو تقليد مقبول لأن الكثير من الناس يكشفون رؤوسهم احتراماً لحكامهم .

ويشير الرحالة أبن بطوطة[٢] في معرض حديثه عن التزام منسا موسى بتعاليم الشريعة الإسلامية ولاسيما بعد عودته من رحلة حجه إلى أن الفقيه مدرك أخبره أن رجلاً من أهل تلمسان يُعرف بأبن شيخ اللبن كان قد أحسن إلى السلطان في صغره بسبعة مثاقيل وثلث ذهب وصادف أن التقى بالسلطان خلال حكمه وعرفه ذلك السلطان فقرر مجازاته على فعلته تلك ، فسأل حاشيته أن ماجزاء من فعل الخير ؟ فقالوا : الحسنة بعشرة أمثالها فأعطه سبعين مثقال ، فمنحه سبعمائة مثقال وكسوة وخادماً .

والمضمون السياسي ومن خلاله الدبلوماسي لم يكن أقل أهمية عن المضامين الأخرى والذي ظهر خلال مرور منسا موسى بمصر ، إذ انه كان يريد ان يوصل رسالة لحكام مصر ان بلاده لاتقل شأناً عن مصر ، وبدى ذلك واضحاً أمام حكام ورعية المماليك ولاسيما حينما رفض تقبيل الأرض بين يدي السلطان المملوكي[٣] ، واكتفى بالسلام عليه فقوبل بالرد لكن دون الدعوة للجلوس في الحضرة السلطانية[٤] ، وكان أول وصوله إلى القاهرة دخل في ضيافة السلطان المملوكي محمد بن قلاوون في منطقة الأهرام ليدخل بعدها إلى مركز القاهرة في السادس عشر من شهر رجب سنة ٧٢٤هـ/ ٨ يوليو ١٣٢٤م وهو اليوم الذي طلع فيه إلى القلعة ليقابل السلطان المملوكي[٥] .

---

(١) عبد القادر محمد بن عبد القادر الجزري ، درر الفوائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة (القاهرة:١٩٦٤) ،ص٦٦٧.

(٢) تحفة النظار : ٢٦٥/٤ .

(٣) ابن الوردي ، تاريخ : ٢٦٦/٢ ؛ الصفدي ، أعيان العصر :٤٧٨/٥ .

(٤) الذهبي ، العبر : ٦٩/٤ ؛ المقريزي ، السلوك : ٧٣/٣ .

(٥) المقريزي ، المصدر نفسه : ٧٣/٣ . فيما أشار ابن كثير ان منسا موسى وصل القاهرة في يوم الخامس والعشرين من رجب سنة ٧٢٤هـ . ينظر : البداية : ١١٢/١٤ .

وحال وصول منسا موسى التكروري إلى القاهرة قدم للسلطان الناصر قلاوون المملوكي[١] مجموعة هدايا في مقدمتها اربعين ألف دينار ، كما قدم للعامة عشرة الاف دينار[٢] ، ويؤكد المؤرخ أبن خلدون تلك الهدية بمجموعها قائلاً : " وأهدى إلى الناصر هدية حفيلة يُقال أن فيها خمسين ألف دينار " [٣] ، فيما يشير مؤرخ أخر إلى أن العشرة ألاف لم تكن للعامة وإنما قدمت لنائب السلطان المملوكي دون أن يذكر أسمه[٤] ، وبالمقابل قدم له السلطان المملوكي حصان اشهب ، فضلاً عن الخلع والجمال وكل مايحتاجه المسافر في قافلة الحج[٥] ، كما قدم السلطان المملوكي لسلطان التكرور بعد عودته من الحج عمامة مدورة وجبة سوداء وسيف مذهب[٦] ، وكان دار ضيافة ملك التكرور في القرافة الكبرى والتي أصبحت ملكاً له بعد أن اقطعه اياها السلطان المملوكي ، كما بعث اليه عدد من الأمراء ليقوموا بضيافته[٧] .

ولم يقتصر عطاء السلطان المملوكي لضيفه ملك التكرور في مرحلة الذهاب للحج وإنما شمل عودته أيضاً ، فحالما سمع السلطان المملوكي بما جرى للسلطان التكروري ومن معه من السودان في طريق عودتهم من مكة المكرمة ، أمر لهم بالعطايا والمنح والتكريم تعويضاً لهم عما ضاع منهم وسرق خلال تيههم في الطريق وتعرضهم للسرقة على يد أعراب الصحراء[٨] .

---

(١) أبن خلدون ، ديوان المبتدأ :٤٩٦/٥ . والسلطان قلاوون : هو الملك الناصر ابو الفتوح ناصر الدين محمد ابن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون ، ولد سنة ٦٨٤هـ وكان له ثلاث ولايات على مصر . ينظر : أبو المحاسن يوسف ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، دار الكتب ، (القاهرة : د/ت) : ٤١/٨ .

(٢) ابن الوردي ، تاريخ : ٢٦٦/٢ .

(٣) أبن خلدون ، ديوان المبتدأ : ٤٩٦/٥ .

(٤) الذهبي ، العبر : ٦٩/٤ ؛ أبن كثير ، البداية : ١١٢/٤ .

(٥) أبن الوردي ، تاريخ :٢٦٦/٢ . وصف الذهبي ذلك الحصان بقوله أنه حصان بزنارين أطلس . ينظر : العبر :٦٩/٤ .

(٦) الذهبي ، العبر : ٧٣/٤ ؛ اليافعي ، مرآة الجنان : ٢٠٦/٤ .

(٧) ابن خلدون ، ديوان المبتدأ : ٤٩٦/٥ .

(٨) ابن خلدون ، المصدر نفسه : ٤٩٦/٥ .

وكانت رحلة الحج تلك حافزاً لتقوية علاقات دولة مالي الإسلامية بمدن ودول الصحراء والمغرب الإسلامي ، فحينما تعرض أبو عبد الله بن خديجة الكومي[١] للخطر قرر الاستنجاد بمنسا موسى ، وحينما علم الكومي بتوجه السلطان للحج انتظره حتى عاد ولقيه ببلدة غدامس راجياً منه استنصاره على عدوه فرحب به منسا موسى ووعده بنصرته والثأر له واصطحبه إلى بلاده ، ويشير الكومي هنا إلى بساطة منسا موسى ومحبته للأخرين عبر دعوته لمجلسه برفقة المهندس ابا إسحاق الساحلي وتبادلهم أطراف الحديث دون وزرائه وحاشيته[٢] . ويبدو أن طريق الحج حقق تواصل دبلوماسي بين حكام دولة مالي الإسلامية وسلاطين المغرب الإسلامي ومصر ، إذ يتم اللقاء بين الطرفين خلال مرور مواكب حج السودان بتلك المناطق ، فضلاً عن فترة الانتظار في القاهرة حتى تحرك ركب الحاج المصري نحو الحجاز .

فضلاً عن ذلك فقد التقى منسا موسى بشخصيات اخرى في طريقه للحج ، ومن بينهم رجُل من المغرب الإسلامي يُدعى هلال أفاد منه بالحصول على معلومات تخص حكام وسلاطين المغرب الإسلامي بحكم عمل ذلك الرجل (هلال) في بلاطات أولئك الحكام ، فهلال من سبي النصارى القطلونيين[٣] الذي كان غلاماً لدى السلطان أبن الأحمر وتنقل في خدمة بعض حكام المغرب الإسلامي وحصل خلالها على خبرة كبيرة وامتلك معلومات مهمة عن اولئك الحكام[٤] . وبطبيعة الحال فأن عمله مع كل أولئك اكسبه مهارة وخبرة من المؤكد أن السلطان التكروري أفاد منها وهو مايؤكد فطنة وذكاء وحسن تصرف ذلك السلطان بتقربه من هكذا شخصيات .

---

(١) ابو عبد الله الكومي : هو المعمر ابو عبد الله بن خديجة الكومي من ولد عبد المؤمن ، كان داعية بالزاب للدولة الفاطمية ، ودخل في صراع مع واركلا الذي خلا به واعتقله ثم خلى سبيله ، فذهب الكومي للاستنجاد بمنسا موسى وهو في طريقه للحج . ينظر : ابن خلدون ، المصدر نفسه : ٢٦٧/٦ .

(٢) ابن خلدون ، ديوان المبتدأ : ٢٦٧/٦-٢٦٨ .

(٣) القطلونيين : وهم نصارى أقصى شمال شرق شبه الجزيرة الايبيرية ، وإمارتهم تسمى الإمارة القطلونية والتي اندمجت فيما بعد بمملكة اراجون القوية ، وكانت إمارة قطلونية قد فتحت من قبل عبد الرحمن الداخل . ينظر : محمد عبد الله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، مكتبة الخانجي ، (القاهرة : ١٩٩٧) : ٢٥٧/١

(٤) ابن خلدون ، ديوان المبتدأ :١٥٢/٧ .

وعمد منسا موسى إلى التباهي بقوة بلاده وازدهارها سياسياً وكثرة حاشيته وبهاء موكبه عبر اصطحاب اكبر عدد ممكن من الخدم والرقيق ، وهو ماظهر جلياً عند اصطحاب سلطان التكرور لأعداد كبيرة من الحجيج من العامة والخاصة ، فكان معه " ألوف من قومه " [(١)] ، إذ رافقه اثنا عشر الف جارية لابسات أقبية الديباج والحرير اليماني ، ويحملن الأدوات والمواد التي يحتاجها في سفره[(٢)] ، ويحدد المؤرخ الفاسي[(٣)] عدد مرافقي السلطان في رحلته تلك بخمسة عشر ألف من التكاررة ، فيما يذكر ابن كثير[(٤)] أن عددهم عشرين ألف من المغاربة والخدم .

ولم تكن للرحلة نتائج ايجابية فقط في مضمونها السياسي بل أسهمت تلك الرحلة ودون تعمد في تكوين نتيجة سلبية كانت بدايتها مع دخول منسا موسى إلى القاهرة ، فقد شاهده تجار من البندقية وشاهدوا موكبه الفاخر متعجبين به ، الأمر الذي دفعهم لرسم منسا موسى وهو يجلس على كرسي من ذهب وفي يده عصا من الذهب وحوله الخدم وبأيديهم اعواد السعف التي تدفع الرياح للسلطان وهي من ذهب وارسلوا تلك الرسوم إلى روما ليراها البابا ، وذلك الأمر نبه الغرب إلى حجم الخيرات التي يمتلكها ذلك الحاكم والتي من المؤكد أنها خيرات بلاده في السودان الغربي ، وربما كانت تلك المسألة الحافز لاستكشاف المنطقة والوصول إلى الساحل الشرقي لأفريقيا والوصول من خلاله إلى بقية أجزاء القارة وبالتالي احتلال المنطقة ككل وهو ماحصل فعلاً بدءاً من القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي ومابعده[(٥)] ، ومن جانب أخر فإنها نبهت المسلمين في المغرب الإسلامي للذهب الموجود في دولة مالي ، الأمر الذي دفع الكثيرين إلى الاعتقاد ان رحلة ابن بطوطة إلى دولة

---

(١) الذهبي ، العبر : ٦٩/٤ .

(٢) ويشير ابن خلدون إلى أن استخدام الجواري والغلمان لحمل البضائع والمواد يكون داخل بلاد السودان وفي المناطق القريبة ، وعند السفر للحج يتم استخدام الحيوانات . ينظر : ديوان المبتدأ : ٢٦٨/٦ .

(٣) محمد بن أحمد بن علي تقي الدين أبو الطيب ، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، دار الكتب العلمية ، (بيروت:٢٠٠٠) :٢٩٥/٢ .

(٤) ابن كثير ، البداية : ١١٢/١٤ .

(٥) إبراهيم علي طرخان ، دولة مالي الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة : ١٩٧٣) ، ص٨٨ .

مالي الإسلامية في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي كانت تجسسية بدفع من السلطان ابي عنان المريني للتعرف على خيرات تلك البلاد[١] ، كما استند أصحاب الرأي القائل بأن رحلة حج منسا موسى نبهت الكثيرين لخيرات البلاد ، استندوا إلى هجوم الدولة السعدية على السودان الغربي واحتلالها المنطقة[٢] .

وفي **المضمون الثقافي** للرحلة فأن عدد كبير من رجال ونساء مالي قد انتهزوا فرصة خروج سلطانهم للحج فخرجوا معه لأداء المناسك[٣]، ومن المؤكد أن يكون لهذا الخروج الجماعي تأثير على المجتمع السوداني ككل ، من خلال نقل أولئك الحجيج إلى بلدانهم مشاهداتهم في البلدان التي مروا بها ، ومن بينها الديار المقدسة في مكة المكرمة ، ويتضح هذا التأثير من خلال قيام منسا موسى بعد عودته من الحج بفتح مدارس لتحفيظ القرآن الكريم ، واقتناءه للعديد من الكتب من القاهرة والديار المقدسة وقد امتلأت بها مكتبات مدن جني[٤] وتمبكتو وولاتة وأصبحت تلك المدن مراكز حضارية كبيرة[٥] ، كما اسهمت الرحلة في الاطلاع على ملامح الحركة التعليمية في الحجاز ومصر ، والبدء بتلقي العلوم الدينية الشرعية والمتمثلة في قراءة القرآن الكريم وحفظه وتفسيره ثم الحديث الشريف عبر دراسة متون

(١) الشكري ، الإسلام ، ص٢٧٥-٢٧٦ .

(٢) زبادية ، مملكة سنغاي ، ص٤٥ .

(٣) يذكر أبن الوردي إن عدد الذين صاحبوا السلطان كانوا عشرة آلاف تكروري بين عبد وحر. ينظر: تتمة المختصر في أخبار البشر ، المطبعة الحسينية بمصر ، (القاهرة : د/ت) :٣٩٢/٢. في حين يذكر آخر إن عدد من وصل معه من المغاربة والخدم السودان نحو عشرين آلفا. ينظر: ابن كثير ، البداية والنهاية :١١٢/١٤. ويذكر أنه قد وصل معه اثنا عشر ألف جارية لخدمته . ينظر: أبن خلدون ، ديوان المبتدأ :٤١٥/٦-٤١٦.

(٤) جني: وهي مدينة تأسست سنة ٤٣٥هـ/١٠٣٣م ويسميها التجار الأفارقة جنة وتقع على مسافة ٦٠كم إلى الجنوب الغربي من تمبكتو، وكانت تلك المدينة مركزاً للتجار المغاربة والعلماء العرب . ينظر: الوزان ، وصف أفريقيا:١٦٢/٢.

(٥) الوزان، وصف أفريقيا:١٦٧/٢؛جبريل. ت. نياني، مالي والتوسع الثاني للماندانغ ، بحث منشور في كتاب تاريخ أفريقيا العام ، (اليونسكو:١٩٨٨) :١٦٣/٤.

الاحاديث وشروحها ، ودراسة كتب الفقه عامة[١] ، وفي مجال تلقي العلوم الدينية ارسل منسا موسى بعد عودته من الحج بعثة طلابية إلى مدينة فاس للتفقه على يد علماءها ، فضلاً عن ذلك فقد شرع منسا موسى فور عودته من رحلته تلك إلى بناء مجموعة من المساجد التي ادت دور تعليمي فضلاً عن دورها الديني ، ويشير إلى ذلك المؤرخ السعدي[٢] بقوله : " ورجع موسى من الحج فابتنى مسجداً ومحراباً خارج مدينة كاغ ، كما قام ببناء مساجد أخرى في أماكن متفرقة من البلاد " .

لقد أراد منسا موسى خلال رحلته أن يتقرب من علماء مصر والمدينة ومكة المكرمة ، وبالتالي توطيد العلاقات الثقافية بين بلده وبلدان المشرق الإسلامي ، كما كان لهذا التوجه بواعث داخلية جاءت استجابة لحركة دينية إسلامية ببلاد السودان عموماً اخذت بالتنامي بين الفئات الاجتماعية ، لذلك لم يرغب المنسى أن يعزل نفسه عن هذا التطور ، وأحب أن يظهر بمظهر الحاكم الشرعي المدافع عن الدين ، فضلاً عن ذلك فأن منسا موسى كان يرغب في الإطلاع على النظم الحضارية الإسلامية السائدة في المشرق الإسلامي ، ولاسيما الاطلاع على ملامح الحركة التعليمية ومحاولة الأخذ بها في دولة مالي ، إذ تم دراسة العلوم المرتبطة بالشرع الإسلامي[٣] .

فضلاً عن ذلك فإن رغبة منسا موسى في أن يظهر تقدم بلاده اقتصادياً عبر عرض خيرات تلك البلاد أمام المماليك والتي يأتي في مقدمتها الذهب ، تلك الرغبة يمكن إدراجها ضمن **المضمون الاقتصادي** والذي كانت رحلة الحج وسيلة اساسية لإظهاره ، إذ أعد السلطان

(١) أمل بنت صالح بن غصاب الشمراني ، رحلات الج واثارها على السودان الغربي في عصر دولتي مالي والسنغاي (٦٣٣-٩٩٩هـ/١٢٣٥-١٥٩٨م) ، اطروحة دكتوراه في جامعة الإمام محمد بن سعود ، (الرياض:٢٠١٢) ، مقدمة الاطروحة ، صفحة ح .

(٢) السعدي ، تاريخ السودان ، ص٥٧ .

(٣) عبد الله عيسى ، الحج في عهد مملكة مالي دراسة تاريخية ، بحث منشور في مجلة البحوث التاريخية لجامعة محمد بوضياف بالمسيلة ، العدد الثاني ، (جوان ٢٠١٧) ، ص٢٦٠ .

التكروري لرحلته مائة حمل من الذهب الخالص (التبر)[١] وفي كل حمل ثلاثة قناطير[٢] ، فيما يشير أبن خلدون نفسه في موضع أخر إلى أن منسا موسى جلب معه في رحلته للحج ثمانين حمل تبر[٣] . ويبدو هنا التناقض في المعلومة في نصين يعودان لمؤرخ واحد وفي نفس الكتاب ، وربما يعود هذا التناقض إلى الحصول على المعلومة من مصدرين مختلفين أو يمكننا إدراجها ضمن مسألة المبالغة في كمية الذهب التي جلبها السلطان التكروري معه للحج . إلا إن توزيع منسا موسى للذهب حال وصوله إلى القاهرة في رحلة الذهاب للحج هبط سعره درهمين[٤] ، فيما أشار المقريزي إلى انحطاط سعر الدينار ستة دراهم نتيجة لكثرة الذهب وشراءه للجواري والثياب بأسعار عالية[٥] ، ويشير فرناند بروديل إلى نتائج رحلة حج منسا موسى وتأثيراتها على الكثير من المناطق ولاسيما في الجانب الاقتصادي بالقول : " إن ذهب السودان كان أكثر من أساس لرخاء شمال أفريقيا والأندلس ، فهذا الذهب لعب دوره في تاريخ حوض البحر الأبيض المتوسط كله ، حيث بدأ تداول هذا الذهب من القرن ١٤م عقب الحج الشهير لملك مالي منسى موسى " [٦] .

وعلى الرغم من أن منسا موسى جلب معه أثناء رحلته للحج كل ذلك الذهب إلا أن كل تلك الأموال لم تكفيه ومن معه من السودان لشدة بذخه فأضطر إلى الاستدانة من تجار

---

(١) التبر : وهو معدن الذهب او رمل الذهب كما يسمى ، وسميت المنطقة التي يظهر فيها ببلاد السودان ببلاد التبر وهي منطقة شديدة الحرارة ، والذهب ينبت في رمل تلك البلاد . ينظر : زكريا بن محمد بن محمود القزويني ، اثار البلاد واخبار العباد ، دار صادر ، (بيروت :د/ت) ، ص١٨ .

(٢) ابن خلدون ، ديوان المبتدأ : ٤٩٦/٥ .

(٣) ينظر : المصدر نفسه : ٢٦٨/٦ .

(٤) الذهبي ، العبر : ٦٩/٤ ؛ اليافعي ، مرأة الجنان :٢٠٤/٤ ؛ ابن كثير ، البداية : ١١٢/١٤ .

(٥) أحمد بن علي بن عبد القادر أبو العباس تقي الدين المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، (بيروت:١٩٩٧) : ٧٣/٣ .

(٦) فرناند بروديل ، المتوسط والعالم المتوسطي ، ترجمة : مروان أبي سمرة ، دار المنتخب العربي ، (بيروت : ١٩٩٣) ، ص٧٠ .

مصر ولاسيما من سراج الدين بن الكويك[١] ، الذي أقرضه خمسين ألف دينار استردها بعد عودة السلطان التكروري لبلاده ، فضلاً عن ذلك فقد باع قصره الذي منحه أياه السلطان المملوكي لتسديد ديونه[٢] . ويبدو أن السلطان التكروري لم يرضى على نفسه العودة لبلاده وهو مدين لأحد فسدد بعض ديونه من بيع القصر ، وأكمل تسديد بقية الدين حال وصوله بلاده .

ولم يقتصر استلاف الوفد السوداني الأموال من أبن الكويك على السلطان التكروري بل شمل أمراءه ، مما استوجب إرسال أبن الكويك لوكيل عنه برفقة رحلة حج السودان عند عودتهم لبلادهم لاستلام أمواله ، إلا أن ذلك الوكيل قرر البقاء هناك وعدم العودة مما أضطر أبن الكويك للسفر برفقة ولده لاستلام أمواله ، وحال وصولهما إلى مدينة تنبكتو دخلا في ضيافة المهندس أبو إسحاق الساحلي[٣] الذي أكرمهما كثيراً إلا أن قضاء الله وقدره جعل وفاة أبن الكويك في تلك الليلة الأمر الذي أجبر المصريين على إشاعة خبر يتعلق باحتمالية تسممه في بلاد التكرور إلا أن أبنه وضح لهم الأمر وأشار إلى تناوله الطعام من نفس المائدة مع أبيه[٤] .

ومن المؤكد أن إسراف السلطان التكروري ومن معه من السودان وبذخهم وصرفهم لكل الكمية التي جاءوا بها من الذهب هي التي أوصلتهم حد الاستلاف من المصريين ، ويبدو

---

(١) سراج الدين بن الكويك : هو محمد بن عبد اللطيف بن احمد بن محمود بن ابي الفتح الربعي المعروف بابن الكويك سراج الدين أبو الطيب ، أصله من تكريت ثم سكن سلفه في الاسكندرية ، ومات في بلاد التكرور . ينظر : ابن حجر العسقلاني ، إنباء الغمر : ٣١٤/٢ .

(٢) ابن خلدون ، ديوان المبتدأ : ٤٩٦/٥ .

(٣) ويُعرف بطويجن وهو مهندس معماري وأديب من بلاد غرناطة خرج من أرضه في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي ليجول في المشرق وهو في طريقه إلى الأراضي المقدسة لتأدية فريضة الحج ،وقد التقى خلالها بالسلطان منسا موسى سلطان دولة مالي والذي دعاه إلى بلاده فقبل دعوته ليشارك في النهضة العمرانية هناك وذاع صيته في السودان الغربي لما أدخله من إبداعات معمارية ، وبقي هناك إلى أن توفى بمدينة تمبكتو ودُفن فيها . ينظر: السلاوي ، الأستقصا :١٥٢/٣ .

(٤) أبن بطوطة ، تحفة النظار : ٢٧٠/٤ .

أن كثرة الذهب بيد الوفد التكروري دفعت القاضي فخر الدين ناظر الجيوش المنصورة[١] للاستفسار من السلطان التكروري عن أماكن تواجد الذهب في بلاده وطرق الحصول عليه فأجابه السلطان أن الذهب ينبت في تلك البلاد نباتاً ، إلا أن أماكن تواجده تكون واقعة تحت سيطرة نصارى السودان وليس للمسلمين سيطرة عليها ، فسأله القاضي : لماذا لاتسيطرون عليها وتأخذونها من يد النصارى ؟ فأجاب السلطان : جربنا ذلك لكنها عدمت من الذهب ولم يخرج حتى عادت بيد النصارى ولعل الله تعالى أمر بذلك حتى يزيد النصارى في طغيانهم[٢] .

ويبدو ان خارطة التوزيع السكاني في السودان الغربي عموماً ودولة مالي الإسلامية خصوصاً لم تكن حاضرة امام المؤرخ الدواداري ، إذ ان النصارى يكاد ينعدم تواجدهم في تلك المنطقة ويكثر في السودان الشرقي ، كما ان مناجم الذهب كانت واقعة تحت سيطرة وثنيي الجنوب وليس النصارى ، فضلاً عن ذلك فإن منسا موسى بن ابي بكر التكروري اشتهر بجهاده ضد القبائل الوثنية ، فليس من المعقول ان يوقف الجهاد بسبب رأي ليس ذي ثقة ينص على عدم مجاهدة الوثنيين لان ذلك سيؤدي الى عدم الحصول على الذهب .

وبسبب قناعة منسا موسى ومن معه بكثرة الذهب الموجود معهم ولشدة رغبتهم بشراء البضائع المصرية ، فقد عمدوا إلى شراء الكثير من الأقمشة المصرية والبضائع الأمر الذي نتج عنه نفاذ ما معهم من الأموال واضطرارهم للاستلاف من المصريين الذين تسابقوا لتسليفهم رغبة في الحصول على المزيد من الذهب والأموال عند تسديد تلك الديون ، ويشير الدواداري[٣] هنا إلى أن الكثير من الذين أعطوا أصحاب السلطان الأموال كدين لم يحصلوا على أموالهم مجدداً ، كما أن أصحاب السلطان التكروري باعوا البضائع التي اشتروها بنصف ثمنها . ومن الواضح أن المؤرخ الدواداري أنفرد بذكر الرواية بهذا الشكل وبالغ في ذكر استلاف السلطان التكروري ومرافقيه في رحلة الحج من المصريين ، كما بالغ في وصف

---

(١) فخر الدين : هو القاضي فخر الدين بن محمد بن فضل الله كاتب المماليك ناظر الجيوش المصرية ، اشتهر بقربه من السلطان المملوكي وتوسطه للرعية لديه والسير في أمور الناس وهو ماجعله محبوباً من قبل الكثيرين ، توفى سنة ٧٣٢هـ/١٣٣٢م . ينظر : ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي : ٢/٢٨٩ .

(٢) ابو بكر بن عبد الله بن ايبك الدواداري ، كنز الدرر وجامع الغرر ، تحقيق : هانس روبرت رويمر ، (د/م:١٩٦٠) :٩/٣١٦ .

(٣) كنز الدرر : ٩/٣١٦-٣١٧ .

السودان بخيانة الأمانة وعدم تسديد الديون ، إذ أن أغلب المصادر لم تذكر استلاف السلطان التكروري من المصرين سوى تدينه من أبن الكويك .

ونتيجة لرحلة الحج تلك فقد شهد التبادل التجاري بين دولة مالي الإسلامية من جهة والمغرب الإسلامي من جهة ثانية تطوراً ملحوظاً ، فقد شهدت المنطقة حركة تجارية واسعة على محورين ، الأول يتمثل في ازدهار التجارة الداخلية بين مدن دولة مالي ، والثاني التجارة الخارجية بينها ودول المغرب الإسلامي من جهة ثانية ، وهنا لعبت الصحراء دور حلقة الوصل الرابطة بين الشمال والجنوب ، فكانت تربط بين مدن الشمال كغدامس والقيروان وفاس وسجلماسة ومدن الجنوب في ولاته واودغست وغانة وغيرها من المدن(١) .

ومن المضامين الأساسية الناتجة عن رحلة حج منسا موسى مايتعلق **بالعمارة** ، فقد شاهد السلطان العمارة الإسلامية في مصر ومكة والمدينة المنورة وتطلع لبناء قصره ومساجد بلاده ومنازلها بنفس الطريقة والشكل الذي بُني به مساجد ومدارس ومنازل تلك البلاد(٢) ، ويقول المؤرخ أبن خلدون أن أحد الأشخاص العائدين من مصر مع منسا موسى بعد أداء فريضة الحج والذي سماه أبن خلدون (أبا خديجة) أبلغه أن السلطان حال وصوله لقصره طلب من المهندس الساحلي أن يبني له بيتاً محكم البناء فعرض عليه ذلك المهندس رؤيته للعمارة الإسلامية التي مارسها في بلاده الأصلية الأندلس أو تلك التي بنى وفقها المنازل والقصور في بلاد الحجاز ، والتي سيطبقها على المباني في دولة مالي الإسلامية ، فبنى قبة مربعة الشكل في قصر منسا موسى ظهرت بأبهى صورة ولاسيما بعد أن تفنن في بناءها بالكلس وصبغها بأصباغ زاهية أبهرت عيون الناظرين وفي مقدمتهم السلطان الذي كافأه بأثني عشر الف مثقال من التبر وعدد من الهدايا الأخرى تقديراً لجهوده وفنه المعماري(٣) ، فضلاً عن ذلك فقد منح السلطان للمهندس الساحلي أربعة الاف مثقال من الذهب تكريماً لجهوده في البناء

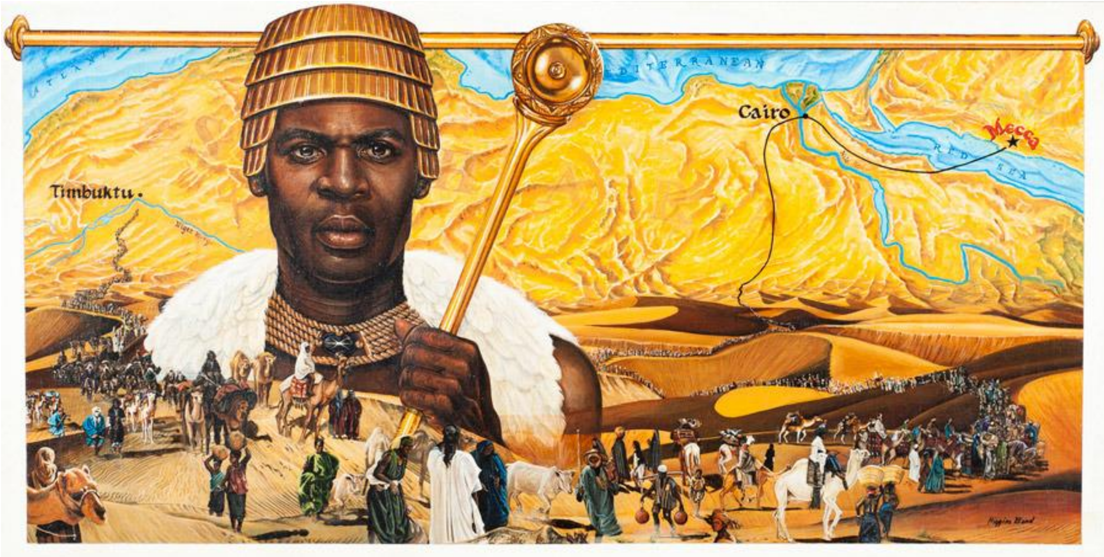
(١) دلال رزق الله عبد الله فضل الله ، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في مملكة مالي الإسلامية (٦٣٨-٨٩٤هـ/١٢٤٠-١٤٨٨م) ، بحث منشور في مجلة العلوم والدراسات الانسانية – المرج ، العدد الثالث والثلاثون ، (بنغازي : ٢٠١٧م) ، ص٧ .

(٢) ابن خلدون ، ديوان المبتدأ : ٢٦٧/٦ .

(٣) ابن خلدون ، ديوان : ٢٦٨/٦ ؛ السلاوي ، الاستقصا :١٠١/٥ .

والإعمار في دولة مالي الإسلامية ، كما أعطى (لمدرك بن فقوص) ثلاثة الاف مثقال في يوم واحد ، وهو ماجعل الرحالة أبن بطوطة يصفه بالكريم المحب للبيضان[١] .

وفي الختام لابد من القول أن تلك الرحلة أسهمت بشكل واضح في تطوير علاقة دولة مالي بالعالم الإسلامي ، وتعريف المسلمين في كل مكان بذلك البلد ، ورسم صورة واضحة عن مسلمين لم تكن الصورة واضحة عنهم ، كما أسهمت الرحلة في نقل الحضارة الإسلامية إلى جنوب الصحراء ، فضلاً عن تثبيت حقيقة الانتشار السلمي للإسلام في تلك البقعة من الأرض .



صورة تقريبية لرحلة حج منسا موسى .

المصدر : قاسم عبده قاسم ، اشهر رحلة حج في التاريخ ، موقع قصة الإسلام الالكتروني ، منشور بتاريخ ٢٠١٧/٦/٢٠ .

(١) ابن بطوطة ، تحفة النظار :٢٦٤/٤

The pilgrimage of Sultan Musa bin Abi Bakr al-Takrouri 724 AH / 1324 AD

Asst.Prof.Dr.Bashar Akram Jamil

Abstract

The research deals with the pilgrimage of one of the rulers of the Islamic State of Mali, which reached the height of prosperity under the authority of its authority named Mansa Musa, the owner of the pilgrimage of the famous and called the trip of the golden pilgrimage. The research addresses the causes and consequences of that trip to the State of Mali and the rest of the Islamic world and its implications on both sides, Religious, political, economic or cultural.